﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١﴾ [فاطر: 1]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا ذكرَ في ختام سورة سبأ أحوالَ الكافرين في اليوم الآخر، وقدرةَ الله عليهم هنالك، وعدمَ قَبوله لهم، والقضاءَ عليهم بالمصير المذموم، وكان ذلك إلماحًا إلى يوم البعث الذي تُعادُ إليه الخليقةُ بعد فنائها في الدّنيا، فافتتح هنا سورةَ فاطر بالثّناء على نفسه سبحانه بطلاقة قدرته على بَدء الخلْق منَ العدَم - السّماواتِ والأرضِ والملائكةِ وعمومِ الموجودات - فأتبَع ذِكْرَ المَعاد بذِكر المبدأ؛ ليكون ذلك أرسخَ في الإيمان وأنورَ في البرهان، على أنّ من قدَر على البدء من لا شيءٍ، فهو أقدرُ على الإعادة من شيء[1].

الافتتاحُ بذِكْر الحمد، وما بعده، هو افتتاحٌ باليقينيّات التي ودّوا لو تناوشوها من مكان بعيد

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَاطِرِ﴾: أصلُ (فطر) يدُلُّ على فَتحِ شَيءٍ وإبرازه[2]، و﴿فَاطِرِ﴾، أي: خالِق ومُبتَدِئ، يُقالُ: فطَرَ اللّهُ الخَلقَ، أي: ابتدَأَهم وأوجدهم من عدَم[3]، والفاطِرُ: فاعلُ الفَطر، وهو الخَلقُ، وفيه مَعنى التَّكوُّنِ سَريعًا لأنَّه مُشتَقٌّ مِنَ الفَطر وهو الشَّقُّ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الحمدُ للّه الذي خلق السّماواتِ والأرضَ بقدرته، والذي جعل الملائكة رُسلًا إلى أنبيائه، وإلى من يشاء من عباده، ليبلغوهم ما

الفَطْرُ هو الخلْقُ النّاشئُ منَ العدَم

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 221.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فطر).
(3) الواحدي، البسيط: 18/ 399.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 248.

يأمرُهم سبحانه بتبليغه إليهم، وهؤلاء الملائكةُ المكرّمون، ذوو أجنحةٍ عديدةٍ، منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثرُ من ذلك - لأنّ المراد بهذا الوصف، بيانُ كثرة الأجنحة لا حصرُها -[1]، يطير بها المَلَك لتنفيذ ما أمر به، يزيدُ الله في الخلق ما يشاء منَ المواهب والأعمال، والأرزاقِ والآجال، والأخلاقِ والأحوال، إنَّ الله على كلِّ شيء قدير، ولا يُعجزه شيء.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

براعةُ الاستهلالِ في الافتتاحِ بالحمدِ:

الاستهلالُ بالحمدِ تعويدٌ على افتتاحِ كلِّ شأنٍ بالحمد

جملةُ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ ابتدائيّةٌ، وافتتاحُ السّورة بـ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ مُؤذِنٌ باستحقاقِ الله للحمد دون غيره، وبأنّ صفاتٍ من عظمةِ اللهِ وجلالِه ستُذْكَرُ فيها بعد ذلك؛ لأنّ الحمدَ ثناءٌ وعنوانٌ على المحمودات منَ الأفعال والصّفات؛ ولذلك أجرى صفاتِ الأفعال ﴿فَاطِرِ﴾ و﴿جَاعِلِ﴾ على اسم الجلالة بعد إيراد الحمد؛ لكون تلك الصّفاتِ موضوعاتِ ذلك الحمد؛ إيذانًا بأنّ السّورة جاءت لإثباتِ التّوحيدِ وتصديقِ الرّسول ﷺ [2].

دلالةُ إيثارِ الجملةِ الاسميّةِ على الفعليّة:

ثبوتُ استحقاقِ اللهِ تعالى للحمد ودوامُه أنسبُ في مقام المدح

أوثر التّعبيرُ بالجملة الاسميّة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ الدّالّةِ على الثّبوت والاستمرار، وليس الفعليّة: (أحمدُ الله) الدّالّةِ على التّجدّد والحدوث؛ لأنّ الثّبوت والدّوام أنسبُ في مقام المدح والثّناء والتّعظيم.

نكتةُ التّعريفِ بـ(أل) في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾:

(أل) في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ للاستغراق، بمعنى أنّ المستحِقّ لجميع المحامدِ، ولكافّة ألوانِ الثّناء هو الله تعالى[3]؛ "إذِ الحمدُ في الحقيقة

(1) طنطاوي، الوسيط: 11/ 319.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 248.
(3) طنطاوي، الوسيط: 11/ 318.

كلُّه له، إذ ما من خيرٍ إلّا وهو موليه"[1]، أو لاستغراق الجنس على أتمّ عموم؛ لأنّ الحمد بالإطلاق على الأفعال الشّريفةِ والكمال هو للّه، والشّكرُ مستغرَقٌ فيه؛ لأنّه فصلٌ من فصولِه[2]، ويصحُّ أن تكون (أل) للعهد، على اعتبار أنّنا نحمدُ اللّهَ على أساس الحمْدِ الذّاتيّ الأزليّ القديمِ الذي حمِدَ به نفسَه، فباعتبار ذلك الحمْدِ الأوّل، جاء كلُّ إنشاءٍ للحمْدِ بعده[3].

الحمدُ كلُّه لله؛ لأنّه مصدرُ كلِّ جميلٍ وخيرٍ

دلالةُ اللّام في ﴿لِلَّهِ﴾:

اللّام في قوله تعالى ﴿لِلَّهِ﴾ للاستحقاق أو للمِلْك؛ إذِ اللّه تعالى خالقٌ لكلِّ من نطق بالحمد، ومالكٌ له، والخالقُ مالكٌ[4]، أو للاختصاص بأنّ له تعالى بكلِّ المحامد اختصاصًا[5].

سرُّ التّصريحِ بالاسمِ الأعظمِ:

جاء التّصريحُ بالاسمِ الأعظمِ (اللّه) سيرًا على عاداتِ القرآن بإظهاره في مقام المدح والتّعظيم، ولفخامة السّياقِ الوارد فيه بإسناد إيجادِ السّماوات والأرض إليه، وفي ذلك تربيةٌ للمهابة والإجلال له سبحانه في النّفوس؛ إذ لا مُستحقَّ للحمد إلّا هو الفاطرُ لهذا الكون وما فيه ومَنْ فيه.

لا أعظمَ من فاطرِ السّموات والأرض وما فيهما ومن فيهما

بلاغةُ المجازِ في التعبير بـ﴿فَاطِرِ﴾:

إطلاقُ الفاطر على الموجِد سبحانه فيه استعارةُ الشَّقِّ للإيجاد، كأنّه شَقّ العدَمَ فأخرجَ من بطنه السّماواتِ والأرض، أو كأنَّ العدَم كامنٌ فيهما، وبإيجادهما يُشَقّان ويُخْرَجُ العدمُ منهما، وإطلاقُ الفَطْرِ بمعنى الشَّقِّ على الإيجاد - مجازٌ مرسلٌ علاقتُه السببيّةُ؛

تحريكُ العدمِ بالحياة لا يقدرُ عليه إلّا فاطرُ السّماوات

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/ 27.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 428.
(3) الواحدي، التفسير البسيط: 1/ 482 - 483.
(4) القنوجي، فتح البيان: 11/ 116.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 160.

لأنّ الشّقّ هو سببُ الإيجاد أوِ الملزوميّة، فأطلق الملزومَ ﴿فَاطِرِ﴾، وأراد اللّازمَ: (موجِد)[1].

معنَى الإضافةِ في: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾:

فاعليَّةُ الإيجادِ لمّا تـزلْ، ولـوِ انـقـطـعـتْ عـنِ المـوجـوداتِ؛ لزالتْ وتعطّلتْ

الإضافةُ في قوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ حقيقيّةٌ معنويّةٌ محضةٌ؛ لأنّ المضاف للماضي، فتفيدُ الإضافةُ تعريفَ المضاف، ويصحُّ أن تكون الإضافةُ لفظيَّةً غيرَ محضة، على اعتبار أنّ ﴿فَاطِرِ﴾ للاستمرار، لا للمضيّ؛ لأنّ الإيجاد مستمرٌّ، ولأنّ فاعليّة الإيجاد ما تزال تحدثُ، حتّى فيما هو موجودٌ بالفعل، ولو انقطعتْ تلك الفاعليّة عنِ الموجوداتِ؛ لزالتْ وتلاشتْ وتعطّلتْ، وعليه، فالإضافةُ على نيّة الانفصال، فلا تفيدُ تعريفًا، ولا تخصيصًا؛ لأنَّ التّعريف حاصلٌ قبل الإضافة، بل تفيدُ التّخفيفَ اللّفظيَّ، بالتّخلّص من ثِقَلِ التّنوين، فلا يقال: (فاطرُ السماوات والأرضَ)[2].

بلاغةُ المجازِ المرسَلِ في: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

إطـلاقُ المحلِّ وإرادةُ الحالّ فيه

في قوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ عبّر عن جميع الوجود والعالَم بالسّماوات والأرض، فأطلق الجزءَ وأراد الكلَّ، فهو مجازٌ مرسلٌ بعلاقة الجزئيّة، والمعنى: (اللّه فاطر العالَم كلّه).

ويجوز أن يُراد بالسّماواتِ والأرضِ مَنْ فيهما، مِنْ بابِ قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: 82]، أي: (فاطر أهل السّماوات والأرض)، وذلك أبلغُ من ذِكر المضافِ المحذوف؛ لأنّ في هذا الحذف إيهامًا بأنّ السّماواتِ والأرض شاهدةٌ على هذا الإيجاد، مثلما تشهدُ القريةُ نفسُها بما يُسأل منها، وذلك أبلغُ في الدّلالة على الإحاطة بالمقصود وألطفُ دلالةً، وهذا التّوجيه جارٍ على المجاز المرسل، بإطلاق المحلّ، وإرادةِ الحالّ[3].

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 253، والبقاعي، نظم الدرر: 16/ 3، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 141، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 335.

(2) السّامرائي، معاني النحو: 3/ 131، والخطيب، التفصيل في الإعراب: 22/ 191.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 233.

ويجوز أنْ يكون المرادُ نفْسَ السّماوات والأرض، تخصيصًا لهما، وتنويهًا بشأنهما، كونَهما عنوانًا على ما سواهما منَ الموجودات وأدلَّ على عجيب القدرة وطلاقة الإعجاز؛ لكونِهما أكبرَ الموجودات، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: 57].

اخـتـصـاصُ العالَمِ العلويِّ بالذِّكْر؛ لِشَرفِه وعـراقـتِـه في الـدّلالـة على القُدرة

نكتةُ التّتابُعِ بين الأوصاف: ﴿فَاطِرِ﴾، و﴿جَاعِلِ﴾:

سبقتِ الإشارةُ إلى أنّ الإتيان بالوصف بعد الوصف في قوله: ﴿فَاطِرِ﴾، و﴿جَاعِلِ﴾ تابعٌ لإيراد الحمد في الافتتاح؛ لأنّ الحمد بريدُ الثّناء، والثّناءُ لا يكون إلّا على الجميل منَ الأفعال، والحسَنِ منَ الصّفات، فكان سردُ الصّفات في ﴿فَاطِرِ﴾ و﴿جَاعِلِ﴾ تعليلًا لذلك الحمد، وتفصيلًا لحيثيّات الثّناء الذي انطوى عليه، كأنّه قيل: (الحمد لله؛ لأنّه فاطر السّماوات والأرض؛ ولأنّه جاعل الملائكة رسلًا).

الثّناءُ لا يكونُ إلّا على الجميل منَ الأفعال

دلالةُ التّعريفِ بـ(أل) في: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾:

(أل) في ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ للاستغراق والعموم، أي: جاعلُ كلّ الملائكة رسلًا، ودليلُ العموم قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: 61]، وقولُه: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس: 21]، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: 31]، ووجْهُ ذلك: أنّ وصف الرّسوليّة بالنّسبة للملائكة لا يختصُّ بنزول الوحي فقط أو تبليغِ الرّسالات، بل الرّسوليّة في الملائكة كوساطةِ الجند بين المَلِك والرّعيّة، فكذلك الملائكةُ هم وسائطُ غيبيّةٌ بين الله سبحانه وخلقِه، ويصحُّ أنْ تكون (أل) عهديّةً على إرادة التّبعيض، أي: (جاعلٌ مِنَ الملائكة رسُلًا)، على اعتبار أنّه ليس كلّ الملائكة وسائطَ بين الله وبين خلقه، بدليل قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: 75]، وقولِه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ [الأنبياء: 19]، أي: (ملازمين عنده)، فليسوا وسائطَ؛ لأنّه خصّصهم بعد تعميم

يَصطفي الله تـعـالى مـنَ الملائكة رُسلًا مكلّفين

قولِه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأنبياء: 19] والملائكةُ جميعًا هم مَنْ في السّماوات، ثم ذكرَ منهم من لا يبرحُ السّماواتِ لملازمته العنديّةَ.

دلالةُ التّعبير بالجعْلِ دون الخلق:

الرّسوليّةُ للملائكة صفةُ تكليفٍ لا صفةُ جبلّةٍ

لم يقل في السّياق الكريم: (خالق الملائكة رسلًا)؛ للإشعار بأنّه ليس كلُّ الملائكة رسلًا، وللإيذان بأنّ الرّسوليّة للملائكة صفةُ تكليف، لا صفةُ جِبلّة؛ ولذلك قال ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾؛ للدّلالة على أنّه قضاءٌ لاحقٌ بعد خلْقهم.

معنَى الجعْلِ في: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾:

القولُ في (جاعل) كالقول في (فاطر)

(الجعل) في قوله: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إمّا بمعنى التّصيير، وهو تحويلُ الشّيء من حالةٍ إلى حالةٍ أخرى، وإمّا بمعنى الإبداع بمعنى الخلق والإحداث، أي: أوجدَهم على تلك الهيئة حالَ كونهم رسلًا، والإضافةُ محضةٌ بمعنى المضيّ؛ لأنّ ذلك قضاء، وقضاءُ اللّه ماضٍ، أو لأنّ ذلك الجعلَ مضى وقتُه وانقضى زمنُه، فلا حاجة لاعتبار الإضافة لفظيّةً غيرَ محضة على أنّ ﴿جَاعِلِ﴾ لحكاية الحال، على معنى (يجعل)[1].

دلالةُ إجراءِ الرّسالةِ على الملائكة:

الرّسالةُ في النّاس فرعٌ عنِ الرّسالة في الملائكة

أجرى اللّه تعالى صفةَ الرّسوليّة على ملائكته في قوله: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾؛ لمناسبة المقصودِ من إثبات الرّسالة في البَشَر، أي: جاعلُهم رسلًا منه إلى المرسلين منَ البشر؛ للوحي بما يراد تبليغُهم إيّاه للنّاس، فكونُهم رسلًا يُستدلّ به على ثبوت الرّسالة والوحي ولوازمِه في النّاس[2].

وصفُ الجناحِ خاصٌّ برُسل الملائكة ويجوزُ أن يكون حاصلًا في كلّ الملائكة

نكتةُ التّعبيرِ في ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾:

قولُه: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾ يجوز أن يكون حالًا من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، فتكون

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 336.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 249.

الأجنحةُ ذاتيّةً لهم من مقوّمات خِلْقَتِهم، ويجوز أن يكون حالًا منَ الضّمير في ﴿رُسُلًا﴾، فيكون خاصًّا بحالة رسوليّتِهم[1].

توجيهُ الدّلالةِ العدديّةِ في ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾:

التّكرارُ لإفادة التّوزيع

قولُه: ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ صفاتٌ معدولةٌ عن أعداد مكرّرةٍ: اثنين، وثلاثة، وأربعة، وفائدةُ العدل: الدّلالةُ على التّكرار، فـ﴿مَّثْنَىٰ﴾ في معنى: (اثنين اثنين)، و﴿وَثُلَٰثَ﴾: ثلاثة ثلاثة، و﴿وَرُبَٰعَۚ﴾: أربعة أربعة، فأفاد التّكرار التّوزيعَ العدديَّ، أي: اثنين اثنين متوزّعةٌ على الأنواع، أي: اثنين لفرد، واثنين لفرد آخر، وثلاثة لفرد، وثلاثة لفرد آخر، وليس التّكرار حاصلًا للذّات الواحدة، فمنَ الملائكة ما له جناحان، ومنها ما له ثلاثة، ومنها ما له أربعة[2]، أي: لا يُراد بالمعدول عنه التّوكيدُ، إنّما يراد به تكريرُ العدد[3].

دلالةُ العطفِ في ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾:

الواوُ في قوله: ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ للمغايرة، وإفادةِ التّفريق والتّفاوت بين أنواع الملائكة، فنوعٌ له جناحان، ونوعٌ له ثلاث، ونوع له أربعة[4].

موقعُ جملةِ: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾ ممّا قبلها:

إتباعُ التّفصيلِ العدديِّ بالإجمال فيه؛ دفعٌ لتوهّم الحصرِ في العدد

جملةُ ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ نشأ جوابًا عن سؤالٍ مقدّر بعد قوله: ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ كأنّ سائلًا سأل: هل هذا العدّ للأجنحة هو منتهى إحصائها في أنواعها؟ فأجيب بما يدفع توهّمَ الحصرِ في العدد، فقال: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾، كأنّه قيل: (أولي أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباع وأكثرَ من ذلك).

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 249.

(2) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 4/ 429.

(3) الراغب، المفردات: (ثلث، ربع)، والسمين الحلبي، الدرّ المصون: 3/ 563، وصافي، الجدول: 11/ 249، ودرويش، إعراب القرآن: 8/ 120.

(4) الواحدي، البسيط: 18/ 399، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 141.

نكتةُ التّعريفِ بـ(أل) في ﴿ٱلۡخَلۡقِ﴾:

يزيدُ في خلقه ما تقتضيه مشيئتُه وحكمتُه

عرّف النّظمُ الكريمُ ﴿ٱلۡخَلۡقِ﴾ بـ(أل)؛ لأنَّ التّعريف بها أقوى منَ التّعريف بالإضافة في التّعميم والاستغراق، فتستغرقُ الزّيادةُ المعلّقةُ على المشيئة كلَّ الخلق، فلم يقل: (يزيد في خلْقِه ما يشاء) بالإضافة، بل قال: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾؛ ولو قال: (يزيد في خلقه ما يشاء)، لأوهم أنّ مرجِع الضّمير لِأقرب مذكورٍ وهو الخلْقُ المُضمَّنُ في الجَعل في قوله: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾، فلمّا قال: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾ على العموم الكامِل، عُلِم شمولُ تلك الزّيادة لجميع ما خلَقَ ممّا ظهر أو بطن ممّن تعلّقتْ المشيئةُ به، ولذا جرى معنى الزّيادة هنا على الوسْع والعموم الذي أسندت إليه ممّا دلّ عليه التّعريفُ، فمعنى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾، أي: يزيد في خلق الأجنحة وفي غيره ممّا تقتضيه مشيئتُه وحكمتُه[1].

سرُّ تعليقِ الزّيادةِ على المشيئة:

قامتِ الخليقةُ على التّفاوتِ والتّفاضل

تعليقُ الزّيادة في الخلق على المشيئة في قوله: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾، وتعاقبُ ذلك بعد قوله: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾؛ للدّلالة على أنّ تفاوتَهم في رُتْبةِ الرّسوليّة، فبعضُهم في الرّسالةِ أعلى من بعض، تمامًا كما تفاضَل رسُل البشر فيما بينهم، وتفاوتُهم في مقادير الخِلْقة، في أعداد الأجنحة، والذي يؤثّرُ في تفاوتِ الهيئات وتفاضلِها إنّما هو حاصلٌ بمقتضى المشيئة ومؤدَّى الحكمة، وليس أمرًا تستدعيه ذواتُهم، والآية متناولةٌ لعموم الزّيادةِ الحاصلةِ في سائر المخلوقات، كالصّور والمعاني، من ملاحة الوجه، وحسنِ الصّوت، وسائرِ الهيئات، وحصافةِ العقل، وسماحةِ النفس، ومروءاتِ الطّباع، وسائرِ المعاني والخِصال[2].

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 596.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 253.

موقعُ جملةِ الفاصلةِ في الآية:

جملةُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ تعليليّةٌ لمضمون ما قبْلها، كأنّه علّل صفاتِ أفعاله السّابقة من كونه فاطرَ السّماوات والأرض، وجاعلَ الملائكة رسلًا، بطلاقة قدرته، واستغراقِها للأشياء تقديرًا وإيجادًا، أو الجملةُ استئنافٌ بيانيٌّ، وقع جوابًا عن سؤالٍ ذهنيٍّ تفتّق في عقل السّامع، تقديرُه: (أنّى تأتّى ذلك الخلْق العظيم وأمْكَن؟!)؛ فأجيب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، كأنّه قيل: (بإعجاز القُدرة تأتّتْ تلك الموجوداتُ)[1].

الوسعُ في القُدرة يستلزمُ الوسعَ في المشيئة

بلاغةُ الكنايةِ في: ﴿فَاطِرِ﴾:

في قوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ كنايةٌ عن إمكان البعث والإعادة؛ لأنّ معنى ﴿فَاطِرِ﴾ أي: مبتدِئُ الأشياءَ إيجادًا وخلْقًا، فيلزمُ أنّ من قدر على الابتداء قادرٌ على الإعادة[2].

القادرُ على الابتداءِ قادرٌ على الإعادةِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

فاطرٌ وبديعٌ:

أصلُ فاطر: من (فطر) الدّالِّ على فَتْحِ شَيْءٍ وشَقِّه وإبْرازِه، ومنه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: موجدُها منَ العدَم، كأنّه شقّ العَدَم فاستخرجها منها، فلكونِه خلْقًا أبْرزَ بعد عدمٍ، كأنّه قبْل خلْقِه كان غائبًا في العدم فظهر منه وبرَز، فالفَطْرُ هو الخلْقُ والإنشاء بالنّظَر إلى العدَم السّابق عليه.

الخلْقُ في (فاطر) قد يقع على غير مثال، وقد لا يقعُ

وأمّا البديعُ، فمِن (بدع) الشّيءَ، إذا اخترعه على غير مثالٍ سابق، فهي خِلْقَةٌ لا نظير لها سبقَها، فالإبْداعُ: إنشاء صَنْعةٍ بلا احتذاءٍ واقتداء، وإذا استُعمل في الله تعالى فهو إيجادُ الشّيء بغير آلةٍ ولا مادّةٍ ولا زمانٍ ولا مكانٍ، وليس ذلك إلّا لله[3]، وعليه يتّضحُ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/ 360.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 319.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والراغب، المفردات: (بدع، فطر).

الفرقُ بين ﴿فَاطِرِ﴾ و(بديع)، فكلاهما يتّحدان على معنى ابتداء الخلْق والإيجاد، ويفترقان في أنّ ﴿فَاطِرِ﴾ تقال بالنّظر إلى الإيجاد منَ العدم، و(بديع) تقال بالنّظر إلى الإيجاد على غير مثالٍ سابقٍ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والأربعون،
سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 46 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-99-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 46 : المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-99-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0986397 بتاريخ 2025/01/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»